والسـوريـة من جديد. وفي ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦، نشرت صحيفة «برافدا» مقالاً حاد اللهجة، تحت عنوان له دلالة «أوقفوا سفك الدماء في لبنان» بامضاء «مراقب»، نحى بعنف، باللائمة على السوريين للقتال في لبنان، ولفشل «الجهود المبذولة من أجل تسوية سلمية»، وطالب، مرة أخرى، بتسـوية فورية «تحفظ حركة المقاومة الفلسطينية والقوات الوطنية اللبنانية». ويبدو ان بريجينيف أرسل، في هذه الفترة، رسالة ثالثة الى الرئيس الاسد، وتبع ذلك بيان شديد اللهجة أصدرته لجنة التضامن الافرو ـ آسيوية كرر ما جاء في مقال «مراقب»، وأضاف ما يلي: «ان الشعب السوفياتي يتساءل لماذا تقف سوريا، الآن، ضد حلفائها الطبيعيين في الصراع مع الامبريالية، وخصوصاً ضد حركة المقاومة الفلسطينية؟». ومضى البيان قائلاً: «في هذه اللحظة، بالذات، تسدّد الضربات في لبنان الى هذه الحركة، وهي طليعة حركات التحرر الوطني، وهي، كذلك، حركة ما برحت مواقفها المعادية للامبريالية تواجه الهجمات المتتالية من الامبريالية والصهيونية»[٧٦].

كان الهاجس السوفياتي يقوم على افتراض مفاده، ان سوريا، بتوجيهها ضربات عسكرية ضد المقاومة الفلسطينية، وبما كانت تسعى الى «خيانة» موسكو والحصول على «بطاقتها» الخاصة لدخول «السلام الاميركي». وعلى الرغم من التصلّب الشكلي، من التأثير على الاحداث، لم تكن موسكو قادرة على تغيير لعبة اطراف الصراع بشكل حاسم. واذا لم يكن الاسد ذهب الى النهاية في هجومه على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، فان ذلك يعود، أساساً، الى التدخل السعودي الذي فرض عقد قمتي الرياض والقاهرة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦. ومن المرجح ان أسارير موسكو انفرجت حين حققت الدبلومـاسيـة السعودية وقف القتال، الاّ انه في وسعنا الاعتقاد، ان بعضاً من القلق كان يساورها بشأن موقف المتصارعيْن الاساسيين (سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية)، اللذين اذعنا لمشيئة اصدقاء الولايات المتحدة الاميركية في المنطقة (المملكة العربية السعودية ومصر) في رعاية هذا الاتفاق[٧٧]. ويبدو ان اثر هذا العامل على الآمال السوفياتية كان كالحاً بعض الشيء؛ بيد ان الامر الذي كان واضحاً لدى موسكو، أكثر من غيره، هو ان التهديد الاسرائيلي ـ الكتائبي اللبناني للوجود السوري في الساحة اللبنانية، قد يدفع دمشق ومنظمة التحرير الفلسطينية نحو اعتماد استراتيجية تساعد موسكو في تدعيمها، بينما تنصب الجهود الدبلوماسية في اتجاه عقد مؤتمر جنيف للسلام.

ان هذا المـوقف المميّـز بتدخلات خفية عدة لم يتزحزح طوال العام ١٩٧٦، مصحوباً بلهاث سوفيـاتي متعـاقب في التركيز المتزايد على الفلسطينيين[٧٨]. وفي الحقيقة، انعكس هذا التركيز في التصريحين السياسيين الهامين اللذين أدلى بهما بريجينيف في تلك السنة. وجاء التصريح الاول في تقـريـر قدّمته اللجنة المركزية الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في شباط (فبـرايـر). أمّـا الثاني، فورد ضمن خطاب ألقاه بريجينيف في جلسة عامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٦. وقد أكد التصريح الاول على أهمية اقامة دولة فلسـطينيـة ورفـع الظلم عن «مئات الالوف من الفلسطينيين الذين طردوا من أرضهم». أمّا التصريح الثاني، فأشار، تحديداً، الى ان الحرب في لبنان كانت موجهة، في المقام الاول، ضد «حركة المقاومة الفلسطينية»، أي ضد حركة عربية تقاوم الاستعمار[٧٩]. وبالاضافة الى هذين التصريحين، كانت هنـالك بعض الاشارات ذات المغزى، كفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في موسكو في حزيران (يونيو)، والتقارير الصحافية السوفياتية الواسعة عن أعمال ممثل المنظمة الجديد، العقيد محمد الشاعر، وزيارة مسؤول الاعلام الفلسطيني الموحّد، ماجد ابو شرار، في أواخر تموز (يوليو)، ورئيس الدائـرة السيـاسيـة في المنـظمـة، فاروق القـدومي، في أواسـط أيلول (سبتمبر) ١٩٧٦.